

نتأملاليوم في قول الكتاب "وقال الله ليكن نور، فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة" (تك: 3-5). وأيضاً قول الكتاب "لأنه أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة؟! وأي انفاق للمسيح مع بليعال؟!" (كو: 14، 15).

وفصل الله بين النور والظلمة^١

الإنسان الذي يسير في طريق الله، لابد أن يفصل ذاته عن كل طريق الخطية والعترة، لأنه أية شركة للنور مع الظلمة. لا يستطيع إنسان أن يجمع بين الأمرين في حياته.

عندما دعا الله إبراهيم أبا الآباء، قال له في أول دعوته "أخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك، إلى الأرض التي أريك..." (تك: 12: 1). وهناك "أبارك، وأعظم اسمك، وتكون بركة". من الصعب عليك أن تحيا بطريقة روحية في هذا الوسط، لذلك أخرج من هذا المكان، ومن موضع الخطية...

وكما فعل رب مع إبرام في إخراجه من أور، هكذا فعل مع لوط في إخراجه من سدوم، إذ قال له:

"اهرب لحياتك، ولا تنظر إلى ورائك، ولا تقف في كل الدائرة.. أسرع، اهرب إلى هناك" (تك: 17، 22).

ولما فسدت الأرض كلها في أيام نوح، فصل الله نوحًا وبنيه وزوجاتهم، وأغرق الأرض بالطوفان... إنها عملية فصل بين النور والظلمة. وكما يقول الكتاب:

"اعزلوا الخبيث من وسطكم" (كو: 5: 13، يش: 7: 13). وهكذا كان رب باستمار، يفصل أولاده عن كل وسط شرير. ولا يسمح لهم بأن يندمجوا في شعوب الأرض، ولا يتزاوجوا معهم... ويقول الكتاب أيضًا "لا تختلطوا الزناة" (كو: 5: 9). بل يقول بالأكثر (كو: 11): "إن كان أحد مدعو أخًا، زانِيَا، أو طماعًا، أو عابدوثن، أو سكريًا، أو خاطفًا:

"أن لا تختلطوا، ولا تؤاكلوا مثل هذا...".

وقال في ذلك أيضًا إن "المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة". ووصل في عملية الفصل مع الخطية والخطأ، إلى حدود صعبة جدًا، قال فيها رب "إن كانت عينك اليمنى تعثرك، فاقلعها وألقها عنك... وإن كانت يدك اليمنى تعثرك، فاقطعها وألقها عنك" (متى: 5: 29، 30). لا يوجد أعز من العين، أو الزم من اليد اليمنى. ولكن إن صارت إحداهما ظلمة، فانفصل عنها. اعتزل كل بيئه معترضة.

لأن الإنسان بعيد عن مادة الخطية ومصادرها ومعتراتها: إن حورب بالخطية، تكون له حرب واحدة، من الداخل فقط. أما الذي يعيش في وسط شرير: فإنه إذا حورب تكون أمامه حربان: حرب من الداخل وحرب من الخارج أيضاً...

لذلك فصل الله بين النور والظلمة منذ بدء الخليقة.

واستمر هذا الفصل طوال عصور الآباء والأنبياء. وكان موضع الخاطئ هو خارج المحلة، لكي تبقى المحلة كلها مقدسة.

والكنيسة أيضاً كانت تعزل الخطأ، وتحرجه من شركة المؤمنين
excommunication

يوحنا الحبيب، الرسول الذي يمثل الحب في أعماقه، تراه في هذه النقطة بالذات حازماً جداً، يدعونا أن نتجنب كل أخ يسلك بلا ترتيب. ويقول:

"لا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه، يشترك في أعماله الشريرة" (يو 10: 11).

إن أولاد الله مجموعة مقدسة، اعتزلت أسباب الخطية، واعتزلت العالم كله، لأنها ماتت عن العالم وعن كل أعماله الريئة.

أول اعتزال، يبدأ في المعمودية، بجحود الشيطان وكل جنوده وأعماله.

وفي المعمودية أيضاً ننفصل عن الإنسان العتيق، ونولد بإنسان جديد على صورة الله، ولبس المسيح.

ونبقي حياتنا كلها منعزلين عن العالم والخطية والشيطان.

وفي الكنيسة الأولى نجد أن بولس الرسول عزل خاطئ كورنثوس (1كور 5: 2). وبطرس الرسول فعل أكثر من هذا مع حنانيا وسفيرا.

فإن كنت أنت لا تستطيع أن تعزل الخطأ رسمياً، فليس أقل من إن تنعزل عنهم عملياً، بعيداً عن تأثيراتهم.

هذا الفصل بين النور والظلمة بدأ منذ أول البشرية، من أيام آدم وحواء، حينما فصل الله أبوينا الأولين عن شجرة الحياة، وطردهما خارج الجنة...

ينبغي على الإنسان، ليس فقط أن يفصل نفسه عن الخطأ وإنما بالأكثر عن الخطية ذاتها، وكل مظاهرها ومساراتها.

يفصل عقله عن الفكر الشرير، وقلبه عن الشموة الرديئة والأحسىس الخاطئة، ولا يجعل حياته: ساعة لله وساعة للعالم. لا يجوز أن تبقى في حياة الإنسان لحظة واحدة يشترك فيها مع الخطية، ولا يجوز أن يسمح بجزء ولو ضئيل من قلبه أو فكره للخطية، لأن الكتاب يقول "تحب الله من كل قلبك ومن كل فكرك" (نث6) ويقول الكتاب أيضاً:

"لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب" (يو2:15).

لما حدث أن شمسون لم يعتزل دليلة، سقط، بينما كان روح الله قد حل عليه من قبل. لذلك فإن إيليا النبي يوبخ الذين يتارجحون بين الطريقين، ويحاولون الجمع بين النور والظلمة، فيقول:

"حتى متى تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الله هو ربكم فاتبعوه، وإن كان هو البعل فاتبعوه" (مل18:21).

اجلس إذن بينك وبين ذاتك وقل لنفسك: هل ما تزال لي خلطة الخطية وأسبابها وبالخطاة وتأثيرهم؟ هل ما أزال أخرج بين الفرقتين، وأسير يوماً في النور ويوماً في الظلمة؟!

الإنسان الذي يسلك في الظلمة، يحب الظلمة لأنها تخفي أعماله. إذ لا يستطيع أن يرتكب الخطية في النور أمام الكل...

لذلك تجدون أعمال الخطية دائمًا مخفاة، يدبرها أصحابها في السر وفي الخفاء. وإن ظهرت يغلفونها بالكذب والرياء... ودائماً الشر يعيش في الظلام، ولهذا قال رب لرؤساء اليهود "هذه ساعتكم وسلطان الظلام".

أولاد الله يعيشون في هذا النور وفي العالم الآخر أيضًا...

وكما تكون لهم هنا أفكار منيرة ومشاعر منيرة، كذلك تكون لهم في العالم الآخر أجساد نورانية. ويقول الكتاب إنهم يصيرون كالجلد، وكالكواكب إلى أبد الدهور. وقد شبههم بالنجوم وقال إن نجمًا يفوق نجمًا في الرفعة.. أما الأشرار فقيل عنهم إنهم "يطربون في الظلمة الخارجية".

وفي الأبدية أيضًا سيفصل الله بين النور والظلمة، بين الخراف والجاء، بين القمح والزوان، بين الأبرار والأشرار، بين الغني ولعازر، سيفصل كل هؤلاء فصلاً كاملاً...

سوف لا يكون التقاء، كما في هذا العالم..

هنا يلقي الصياد شبكته في البحر، فتجمع من كل نوع، الجيد والرديء. أما على شاطئ الأبدية فسيفصل الجياد عن الأردياء. هنا تعيش العذارى العشر معاً. أما هناك فستفصل الخمس العذارى الحكيمات، عن الخمس الجاهلات. البعض سيدخل، والبعض يقف خارجاً...

هذا الفصل بين الأبرار والأشرار في الأبدية، سيكون سبباً لآلام الخطأة، إذ يحرمون من عشرة الملائكة والقديسين...

يرونهم من بعيد، ولا يستطيعون الوصول إليهم ولا التمتع بهم، كما ينفصلون أيضاً عن الله، وهذا هو الألم الأكبر.

لقد فصل الله بين النور والظلمة، حتى هنا، في الأسلوب والشكل واللغة، أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس ظاهرون (يو3:10) وهكذا قيل لبطرس "لفتكم تظهركم". حياة أولاد الله مميزة، طرقوهم وأسائلبهم لها طابع خاص. بل حتى شكلهم وملامحهم، إنما يعبر عن روحهم في الداخل، نظراتهم، أحاديثهم، حركاتهم، ملابسهم، تسلياتهم... يمكن تمييزها بسهولة عن نظائرها في أهل العالم.

وأيضاً نري هؤلاء يتجمعون معاً، وأولئك يتجمعون معاً... منفصلين...

وكما يقول المثل "إن الطيور على أشكالها تقع" ...

أولاد الله نور للعالم، ينيرون بذاتهم، وينيرون لغيرهم.. كل مكان يحل فيه أولاد الله، يشرق النور فيه، وتحتفي الظلمة.

لهم هيبيتهم ووقارهم التي تجعل الظلمة تستحي وتتواري. ويخشى الناس أن يخطئوا في حضرتهم، ويفصل الله الظلمة عن هذا النور.

غير أن هناك ملاحظة هامة في انتقال الأبرار عن الأشرار:

ليس يعني انتقال الأبرار عن الأشرار، أن يكون ذلك بلون من الكرياء، كما كان الكتبة والغريسيون يتعرفون عن معاشرة الخطأة ويلومون بالرب عندما يزور العشارين ويتكئ في وسطهم.

إنه اعتزال شامخ، يدل على الكرياء، وعلى احتقار الآخرين.

أما اعتزال الأبرار، فهو اعتزال عن الاشتراك في العمل الشرير.

"لا تشتراكوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحرى بكتوها" وهكذا يقول الكتاب "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطأ لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز 1) ويقول أيضاً "لا تشاكلوا هذا الدهر" (رو12:2) أي لا تشابهوه.

الإِنْسَانُ الْبَارُ لَا يَجَّا مِنَ الْخَطَاةِ، وَلَا يَنْدِمُجُ فِي حَيَاتِهِمْ وَأَسَالِيبِهِمْ، يَعْتَزِلُ عَنْهُمْ، وَلَكِنَّهُ يَشْفَقُ عَلَيْهِمْ، وَيَصْلِي لِأَجْلِهِمْ.

ملاحظة أخرى وهي أنه هناك فرق كبير بين الرعاة والمؤمنين العاديين في الصلة بالخطاة.

المُؤْمِنُ الْعَادِيُّ يَبعُدُ عَنْ مَجَالِ الْخَطَاةِ حَتَّى لَا يَعْثُرَهُ فِي سُقُطٍ.

أَمَّا الرُّعَاةُ وَالْخَدَامُ فَيَفْتَقِدُونَ الْخَطَاةَ لَكِي يَرْدُوْهُمْ إِلَى طَرِيقِ الرَّبِّ.

1. مقال لقداسة البابا شنوده الثالث - بمجلة الكرازة - السنة السابعة (العدد السابع) 13-2-1976م